الأخلاق والآداب الإسلاميّة في نهج البلاغة

Islamic Morals and Manners in Nahj al-Balagha

م. د. آسيا محمد رضا

كلية الفقه الجامعة

Lect. Dr. Asia Mohammed Ridha

ALFiqh University College

https://doi.org/10.64704/almubeen.2026012502

ملخص البحث

نهج البلاغة كتابٌ نفيس ذو قيمةٍ علميّةٍ واسعةٍ، وليس لذي لُبٍّ أن يشكَّ في ذلك أو أن تعتريه أيَّة شبهةٍ حولهُ.. فهو في مصاف الكتب النفيسة التي تُعَدُّ من أُمَّات كتب حضارتنا الإسلامية. فهو كتابٌ أدبي، وديني، واجتماعي، وأخلاقي، وتاريخي، ويأتي بعد القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. ويُعَدُّ تراثه العلامة المضيئة والدلالة البالغة على روح الإسلام، وقد عجز الزمان من أن يبلاه، بل أصبح الزمانُ والأفكار الحديثة النيِّرة المستقاة منه تزيدهُ ثمنًا ونورًا وبهاءً. فكلماتهُ التي يطلقها الإمام فيه هي مرآةٌ لروح الإسلام الخالد، وبلاغتهُ هو البيان الرائع الذي بلغ فيه أوج عظمتهِ، وقد نثرها الإمام في هذا الكتاب.

لقد اهتمَّ القرآن الكريم بالأخلاق ومكارمها، وذمَّ مساوئها في آياته المتكرّرة وسوره المتتالية، حيث بلغ مجموع الآيات التي تحدّثت عن الأخلاق، صراحة أو إشارة، أمرًا أو نهيًا، ما يقرب من ربع العدد الإجماليّ لآيات القرآن الكريم، وهذا يدلّ على أهميّة العنصر.

الكلمات المفتاحية: الأخلاق، الإسلامية، الآداب، نهج البلاغة، المجتمع.

Abstract

Nahj al-Balagha is a distinguished and scientifically valuable work, the significance of which can not be reasonably disputed. It occupies a prominent position among the foundational sources of Islamic civilization. It is a literary, religious, social, ethical, and historical work, following the Holy Qur'an and the noble prophetic hadiths. The words articulated by Imam Ali (PBUH) within it serve as a reflection of the enduring spirit of Islam, while its eloquence represents a profound expression that has reached the Peak of rhetorical excellence. The Holy Qur'an has given great attention to moral values, promoting virtuous conduct and prohibiting immoral behavior in its verses and surahs. The number of verses addressing ethics — explicitly or implicitly, whether through command or prohibition — constitutes approximately one quarter of the total number of Qur'anic verses, which clearly indicates the importance of this aspect.

Keywords: Morals, Islamic, Manners, Nahj al-Balagha, Society.

المقدِّمة

يمثّل كتاب نهج البلاغة دائرة معارف من الثقافة الإسلامية، تجمع في خضمها معارف مختلفة من قبيل: معرفة الله تعالى وعالم الملائكة وطبيعة نشوء العالم، وطبيعة الإنسان، والأمم، والحكومات الصالحة أو الفاسدة. لكن الملاحظة المهمة فيما يمكن الحديث عنه حول هذه الخطب هو أنَّ الإمام لم يكن بصدد تدريس العلوم الطبيعية أو التعرّف على عالم الحيوان أو تفهيم القارئ الملاحظات الفلسفية أو التاريخية التي تنطوي عليها تلك الخطب والكلمات، وإنَّما سار (عليه السلام) في طرحه لهذه المواضيع على الطريقة التي استعملها القرآن الكريم في بيانه لهكذا مواضيع بلغة الموعظة.

لقد حاولتُ في الدراسة بيانَ الأخلاق والآداب الإسلامية التي في نهج البلاغة، وبيَّنت الزهد والسخاء بوصفها من الأخلاق الإسلامية التي ذُكرت في نهج البلاغة، وأثر هذه الأخلاق على الإنسان، وأهمية التدبّر بهذه الخطب عن لسان أمير المؤمنين سيد البلغاء (عليه السلام)، وكذلك الإجابة عن الأسئلة التي تطرح نفسها، وهي:

١- ما المعاني اللغوية والاصطلاحية للأخلاق؟.

٢- ما هي الأخلاق التي أكَّد عليها نهج البلاغة؟.

٣- ما هي آثار هذه الأخلاق على الإنسان نفسه وعلى المجتمع؟.

خطة البحث

إنَّ الدراسات التي دوّنت الكثير من الشروح على نهج البلاغة، لم يصلنا الكثير منها. وقد أورد أصحاب

الفهارس الكثير من هذه الشروح. ومن جملة هذه الشروح (معارج نهج البلاغة)، لظهير الدين أبي الحسن علي بن زيد البيهقي (توفي عام ٥٦٥ هـ)؛ حقَّقه وقدَّم له محمّد تقي دانش بجوه، و(منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة)، لقطب الدين الراوندي (توفي ٥٧٣ هـ)؛ بتحقيق عزيز الله العطاردي، و(حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة)، لقطب الدين الكيذري البيهقي؛ تحقيق عزيز الله العطاردي وقد تم شرح هذا الكتاب سنة ٥٧٦هـ.

منهج البحث

لقد اعتمدت في البحث الأسلوب الاستقرائي الوصفي لأهمية الموضوع معتمدًا على نهج البلاغة وشروحات نهج البلاغة.

أهمية البحث

لقد دأب الخطباء والمتكلّمون العرب ومنذ القرن الأوّل وما تلاه إلى مطالعة خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) واستعمال بعض مقاطعها ليحسّنوا كلامهم ويجمّلوه ويهذّبوه من كلّ ما يضرّ ببلاغتهم واستعمالاتهم الخاطئة، وليكون ملكة فيما يتفوهون به أمام مخاطبيهم أو ما يكتبوه لقرّائهم، ولو نلحظ ما كُتب من خطب أو رسائل لأدباء العرب أو ما نظموه من شعر بعد الإسلام، لأدركنا من دون أدنى شك أثر خطب الإمام علي (عليه السلام) على ما أنشده الشعراء أو نثره الأدباء العرب في أبياتهم أو مدوناتهم، والأثر الأول هو على الشخص أولًا وعلى المجتمع ثانيًا.

الإطار النظري

المبحث الأول: المبحث التمهيدي

(مبحث التصورات)، وبيّنتُ فيه مفردات البحث حيث كان المبحث الأول فيه معاني المفردات، منها الأخلاق في اللغة والاصطلاح، وذلك بالاعتماد على معاجم اللغة، وفي الاصطلاح اعتمدنا على أقوال المختصين، ثم عرّجت في المبحث الثاني على الأخلاق في نهج البلاغة، ومنها الزهد والسخاء.

المبحث الأول: دلالة الألفاظ اللغوية والاصطلاحية

المطلب الأول: الاخلاق لغة:

قال الزمخشري (ت ٥٣٨ هجرية) جمع الخُلُق والخُلق أي: السجية والطبيعة، يقال: خُلُق حسن وخليقة، وهي ما خلق عليه من طبيعته، ويمثل الخلق الصورة الباطنية للإنسان، التي هي عبارة عن نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها؛ فخص الخلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة[1] قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2].

وقال الرَّاغِبُ (ت: ١١٠٨ هـج) (والخَلْقُ والخُلُقُ في الأصلِ واحِدٌ... لكِن خُصَّ الخَلقُ بالهَيئاتِ والأشكالِ والصُّورِ المُدرَكةِ بالبَصَرِ، وخُصَّ الخُلُقُ بالقوى والسَّجايا المُدرَكةِ بالبَصيرةِ).

وحَقيقةُ الخُلُقِ في اللُّغةِ: هو ما يَأخُذُ به الإنسانُ نَفسَه منَ الأدَبِ، يُسَمَّى خُلُقًا؛ لأنَّه يَصيرُ كالخِلقةِ فيه.

وأمَّا الأخلاقُ بوصفها علمًا، فقد عُرِّفت بعِدَّةِ تَعريفاتٍ، منها: هو (عِلمٌ: مَوضوعُه أحكامٌ قِيَميَّةٌ تَتَعلَّقُ بالأعمالِ التي توصَفُ بالحُسنِ أوِ القُبحِ)[3].

وقيل هي: (عِلمٌ: يوضِّحُ مَعنى

السنة ١١-العدد-٢٥-١٤٤٧هـ/٢٠٢٦م

الخَيرِ والشَّرِّ، ويُبَيِّنُ ما يَنبَغي أن تَكونَ عليه مُعامَلةُ النَّاسِ بَعضِهم بَعضًا، ويَشرَحُ الغايةَ التي يَنبَغي أن يَقصِدَ إليها النَّاسُ في أعمالِهم، ويُنيرُ السَّبيلَ لِما يَنبَغي)[٤].

المطلب الثاني: الأخلاق اصطلاحًا:

الخُلُق والخُلق في اصطلاح علماء الأخلاق هو: (حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا رويّة)[٥]. كما عرّفه ابن مسكويه في كتابه (تهذيب الأخلاق).

وعرّفه ابن سينا: بقوله: (ملكة يصدر بها عن النفس أفعال ما بسهولة من غير تقدّم رويّة)[٦].

والملكة هي كيفية نفسانية بطيئة الزوال، بينما الحال هي كيفية نفسانية سريعة الزوال، واتفق ابن مسكويه وابن سينا في أنّ الخلق كيفية وهيئة راسخة تخص النفس، واختلفا في درجة زواله عنها هل هي بطيئة أو سريعة؟ وقيل: (الخُلُقُ صِفةٌ مُستَقِرَّةٌ في النَّفسِ -فِطريَّةٌ أو مُكتَسَبةٌ- ذاتُ آثارٍ في السُّلوكِ مَحمودةٍ أو مَذمومةٍ)[٧].

وقد عَرَّف بَعضُ الباحِثينَ الأخلاقَ في نَظَرِ الإسلامِ بأنَّها عِبارةٌ عن (مَجموعةِ المَبادِئِ والقَواعِدِ المُنَظِّمةِ للسُّلوكِ الإنسانيِّ، التي يُحَدِّدُها الوَحيُ؛ لتَنظيمِ حَياةِ الإنسانِ، وتَحديدِ علاقَتِه بغَيرِه على نَحوٍ يُحَقِّقُ الغايةَ من وُجودِهِ في هذا العالَمِ على أكمَلِ وَجهٍ)[٨].

وأمَّا الأخلاقُ كعِلمٍ فقد عُرِّفت بعِدَّةِ تَعريفاتٍ، منها:

١- هو (عِلمٌ: مَوضوعُه أحكامٌ قِيَميَّةٌ تَتَعلَّقُ بالأعمالِ التي توصَفُ بالحُسنِ أوِ القُبحِ)[٩].

٢- وقيل هو: (عِلمٌ: يوضِّحُ

مَعنى الخَيرِ والشَّرِّ، ويُبَيِّنُ ما يَنبَغي أن تَكونَ عليه مُعامَلةُ النَّاسِ بَعضِهم بَعضًا، ويَشرَحُ الغايةَ التي يَنبَغي أن يَقصِدَ إليها النَّاسُ في أعمالِهم، ويُنيرُ السَّبيلَ لِما يَنبَغي)[١٠].

فالآداب من منشئات الأخلاق، والأخلاق من مقتضيات الاجتماع بخصوصه بحسب غايته الخاصة، فالغاية المطلوبة للإنسان في حياته هي التي تشخّص أدبه في أعماله، وترسم لنفسه خطًّا لا يتعدّاه إذا أتى بعمل في مسير حياته والتقرّب من غايته[١١].

الأخلاقُ صورةُ النَّفسِ الباطِنة، والسُّلوكُ هو صورَتُها الظَّاهرةُ التي تَدُلُّ عليها، ونَحن نَستَدِلُّ على طَبيعةِ أخلاقِ المَرءِ بسُلوكِه الظَّاهرِ[١٢].

فالخُلُقُ حالةٌ راسِخةٌ في النَّفسِ، وليس شيئًا خارِجًا مَظهَريًّا، فالأخلاقُ شَيءٌ يَتَّصِلُ بباطِنِ الإنسانِ، ولا بُدَّ لنا من مَظهَرٍ يَدُلُّنا على هذه الصِّفةِ النَّفسيَّةِ، وهذا المَظهَرُ هو: السُّلوكُ؛ فالسُّلوكُ: هو المَظهَرُ الخارِجيُّ للخُلُقِ، فنَحن نَستَدِلُّ منَ السُّلوكِ المُستَمِرِّ لشَخصٍ ما على خُلُقِه، فالسُّلوكُ دَليلُ الخُلُقِ، ورَمزٌ له، وعُنوانُه، فإذا كان السُّلوكُ حَسَنًا دَلَّ على خُلُقٍ حَسَنٍ، وإن كان السُّلوكُ سَيِّئًا دَلَّ على خُلُقٍ قَبيحٍ، كما أنَّ الشَّجَرةَ تُعرَفُ بالثَّمَرِ، فكَذلك الخُلُقُ الحَسَنُ يُعرَفُ بالأعمالِ الطَّيِّبةِ[١٣].

المطلب الثالث: أهمية الأخلاق

وقد تَضافرَتِ النُّصوصُ من كِتابِ الله (عَزَّ وجَلَّ) على الأمرِ بالتَّخَلُّقِ بالأخلاقِ الحَسَنةِ، ونَصَّت على الكَثيرِ منها؛ فمن ذلك قَولُه تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

﴿وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾(١٤).

إنَّ الأخلاق لها أثر في إصلاح المجتمع لا يعادله فيه غيره، ولذلك بُذلت الجهود في جعل الدساتير والتعاليم الدينية حتى العبادات من الصلاة والحج والصوم اجتماعية ما أمكن فيها ذلك، كل ذلك ليستصلح الإنسان في نفسه ومن جهة ظرف حياته(١٥).

وقولُه تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾(١٦).

وقولُه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾(١٧).

فـ(الإنسانُ جَسَدٌ ورُوحٌ، ظاهِرٌ وباطِنٌ، والأخلاقُ الإسلاميَّةُ تُمثِّلُ صورةَ الإنسانِ الباطِنةَ، والتي مَحَلُّها القَلبُ، وهذه الصُّورةُ الباطِنةُ هي قِوامُ شَخصيَّةِ الإنسانِ المُسلمِ، فالإنسانُ لا يُقاسُ بطولِه وعَرضِه، أو لونِه وجَمالِه، أو فَقرِه وغِناه، وإنَّما بأخلاقِه وأعمالِه المُعَبِّرةِ عن هذه الأخلاقِ، يَقولُ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾(١٨).

والشرف الحقيقي هو الذي يؤدّي بالإنسان إلى سعادته الحقيقية، وهي الحياة الطيبة الأبدية في جوار رب العزة، وهذا الشرف والكرامة هو بتقوى الله سبحانه، وهي الوسيلة الوحيدة إلى سعادة الدار الآخرة، وتتبعها سعادة الدنيا(١٩).

إنَّ ارتباطَ الأخلاقِ بالعَقيدةِ وثيقٌ

جِـدًّا؛ لـذا فكَـثيرًا مـا يَربُـطُ اللهُ (عَـزَّ وجَـلَّ) بَينَ الإيمانِ والعَمَـلِ الصَّالـحِ، الـذي تُعَـدُّ الأخلاقُ الحَسَـنةُ أحَـدَ أركانِـه، فالعَقيـدةُ دونَ خُلُـقٍ شَـجَرةٌ لا ظِـلَّ لها ولا ثَمَـرةَ، أمَّـا عـنِ ارتبـاطِ الأخلاقِ بالشَّريعـةِ، فـإنَّ الشَّريعـةَ منهـا عِبـاداتٌ، ومنهـا مُعـامَلاتٌ، والعِبـاداتُ تُثمِـرُ الأخلاقَ الحَسَـنةَ ولا بُـدَّ، إذا مـا أقامَهـا المُسـلمُ على الوَجـهِ الأكمَـلِ؛ لـذا قـال تعـالى: ﴿وَأَقِـمِ الـصَّلاةَ إِنَّ الـصَّلاةَ تَنْهَـى عَـنِ الْفَحْشَـاءِ وَالْمُنْكَـرِ﴾[٢٠]، وقـال في الزَّكاةِ: ﴿خُـذْ مِـنْ أَمْوَالِهِـمْ صَدَقَـةً تُطَهِّرُهُـمْ وَتُزَكِّيهِـمْ بِهَـا﴾[٢١]، وقال في الصَّـومِ: ﴿كُتِـبَ عَلَيْكُـمُ الصِّيـامُ كَمَـا كُتِـبَ عَلَى الَّذِيـنَ مِـنْ قَبْلِكُـمْ لَعَلَّكُـمْ تَتَّقُـونَ﴾[٢٢] وقـال في الحَـجِّ: ﴿الْحَـجُّ أَشْـهُرٌ مَعْلُومَـاتٌ فَمَـنْ فَـرَضَ فِيهِـنَّ الْحَـجَّ فَلَا رَفَـثَ وَلَا فُسُـوقَ وَلَا جِـدَالَ فِي الْحَـجِّ وَمَـا تَفْعَلُـوا مِـنْ خَيْرٍ يَعْلَمْـهُ اللهُ وَتَـزَوَّدُوا فَـإِنَّ خَيْرَ الـزَّادِ التَّقْـوَى وَاتَّقُـونِ يَـا أُولِي الْأَلْبَـابِ﴾[٢٣].

ودعـوة إلى التقـوى لـئلّا يفقـد المشـتغل بطاعـة الله روح الحضـور ومعنـى العمـل، وهـذا دأب القـرآن يبين أصـول المعارف ويقـص القصص ويذكـر الشرائـع ويشـفع البيـان في جميعها بالعظة والوصية، لـئلّا يفـارق العلـم العمـل، فـإنَّ العلـم مـن غير عمـل لا قيمـة لـه في الإسلام[٢٤]، وأمَّـا صِلـةُ الأخلاقِ بالمُعـامَلاتِ فـإنَّ المُعـامَلاتِ كُلّهـا قائِمـةٌ على الأخلاقِ الحَسَـنةِ في أقـوالِ المُسـلمِ وأفعالِـه، والمُتَأمِّـلُ في تَعاليـمِ الإسلامِ يَـرى هـذا واضِحًـا جَليًّـا.

والإمـام علي (عليـه السلام) (ت ٤٠هـ) لـه رأي خـاص في معنـى الأخلاق عنـد الإنسـان حيـث سـبق

جميع علماء الأخلاق في ذلك، فنرى بأن رأي الإمام (عليه السلام) قد تجلّى في خطبه الكثيرة التي يشرح فيها الأخلاق، وينشرها بين أصحابه، فهو يرى بأنَّ الإنسان مخلوق، وله ملكات باطنية تعمل للخير، مع وجود أضدادها التي تعمل للشر، فالإنسان الذي له أدوات الحكمة ومعرفتها له أضدادها التي تخالفها، فقال (عليه السلام): «لَقَدْ عُلِّقَ بِنِيَاطِ هَذَا الْإِنْسَانِ بَضْعَةٌ هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ وَذَلِكَ الْقَلْبُ وَذَلِكَ أَنَّ لَهُ مَوَادَّ مِنَ الْحِكْمَةِ وَأَضْدَاداً مِنْ خِلَافِهَا فَإِنْ سَنَحَ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ وَإِنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ وَإِنْ مَلَكَهُ الْيَأْسُ قَتَلَهُ الْأَسَفُ وَإِنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ وَإِنْ أَسْعَدَهُ الرِّضَى نَسِيَ التَّحَفُّظَ وَإِنْ غَالَهُ الْخَوْفُ شَغَلَهُ الْحَذَرُ وَإِنِ اتَّسَعَ لَهُ الْأَمْرُ اسْتَلَبَتْهُ الْغِرَّةُ وَإِنْ أَفَادَ مَالًا أَطْغَاهُ الْغِنَى وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَهُ الْجَزَعُ وَإِنْ عَضَّتْهُ الْفَاقَةُ شَغَلَهُ الْبَلَاءُ وَإِنْ جَهَدَهُ الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ وَإِنْ أَفْرَطَ بِهِ الشِّبَعُ كَظَّتْهُ الْبِطْنَةُ فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ».

هذا هو رأي الإمام (عليه السلام) في معنى الأخلاق عند الإنسان، وهو قد اختصَّ به دون غيره، ولم يسبقه إليه أحد غيره، سوى أنَّ الذين جاؤوا من بعده قد أخذوه وصاغوه صياغة أخرى، ورأيه هذا قد صارح ما جاء به القرآن الكريم.

المطلب الرابع: أنواع الأخلاق

الأخلاقُ تَنقَسِمُ بهذا الاعتِبارِ إلى قِسمَينِ: أخلاقٌ فِطريَّةٌ، وأخلاقٌ مُكتَسَبةٌ، فبَعضُ أخلاقِ النَّاسِ

أخلاقٌ فِطريَّةٌ قد جُبِلوا عليها، وتَظهَرُ فيهم مُنذُ بدايةِ نَشأتِهم، والبَعضُ الآخَرُ من أخلاقِهم مُكتَسَبٌ يَحصُلُ بالتَّخَلُّقِ والتَّكَلُّفِ والمُجاهَدةِ. والأخلاقُ الفِطريَّةُ قابلةٌ للتَّنميةِ والتَّوجيهِ والتَّعديلِ؛ لأنَّ وُجودَ الأخلاقِ الفِطريَّةِ يَدُلُّ على وُجودِ الاستِعدادِ الفِطريِّ لتَنميَتِها بالتَّدريبِ والتَّعليمِ وتَكَرُّرِ الخِبراتِ، والاستِعدادِ الفِطريِّ لتَقويمِها وتَعديلِها وتَهذيبِها.

- إنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**»(٢٥).

- كمال الإيمان: عن الإمام الباقر (عليه السلام): «**إِنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»(٢٦).

وفيه يُثبِتُ الرَّسولُ (صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم) أنَّ خيارَ النَّاسِ في التَّكوينِ الفِطريِّ هم أكرَمُهم خُلقًا، وهذا التَّكوينُ الخُلُقيُّ يُرافِقُ الإنسانَ ويُصاحِبُه في كُلِّ أحوالِه. فإذا نَظَرْنا إلى مَجموعةٍ منَ النَّاسِ غيرِ مُتَعلِّمةٍ ولا مُهَذَّبةٍ، أو في وسَطٍ مُجتَمَعٍ جاهليٍّ، فإنَّه لا بُدَّ أن يَمتازَ في نَظَرِنا من بَينِهم أحاسِنُهم أخلاقًا، فهم خَيرُهم مَعدِنًا، وأفضَلُهم سُلوكًا اجتماعيًّا، ثمَّ إذا نَقَلْنا هذه المَجموعةَ كُلَّها فعلَّمْناها وهَذَّبْناها وأنقَذْناها من جاهليَّتِها، ثمَّ نَظَرْنا إليها بَعدَ ذلك نَظرةً عامَّةً لنَرى من هو أفضَلُهم، فلا بُدَّ أن يَمتازَ في نَظَرِنا من بَينِهم من كان قدِ امتازَ سابقًا؛ لأنَّ العِلمَ والتَّهذيبَ والإيمانَ تَمُدُّ من كان ذا خُلُقٍ حَسَنٍ في أصلِ فِطرَتِه، فتَزيدُه حُسنَ خُلُقٍ واستِقامةَ سُلوكٍ، وتَزيدُه فضلًا، ثمَّ إذا جاءَ الفِقهُ في الدِّينِ كان ارتِقاءُ هؤلاء فيما فُضِّلوا به ارتِقاءً

يَجعلُهم همُ السَّابقينَ على من سِواهم لا مَحالةَ، وبذلك تَكونُ فُروقُ النِّسبةِ لصالِحِهم فَضلًا وكَرَمًا.

المطلب الخامس أهميّة الأخلاق:

أبدت الأخبار الشريفة اهتمامًا بالغًا بمكارم الأخلاق أكثر من أيّ شيء آخر باستثناء المعارف الإلهيّة. ويُستفاد من الحديث السابق أنَّ الغاية من بعث الأنبياء (عليهم السلام)، سيّما خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلم)، هو إتمام مكارم الأخلاق.

فأهمّية الفضائل الخُلُقية أكبر من قدرتنا على شرحها وبسط الحديث فيها، ولكن نكتفي بالإشارة إلى أنّ أساس الحياة الأبدية الأخروية، ورأس مال العيش في تلك النشأة، الخُلُق الفاضل والاتصاف بمكارم الأخلاق، وإنّ الجنّة الممنوحة للإنسان من جرّاء خُلُقه الكريم المسمّاة بجنّة الصفات أفضل بكثير من جنّة الأعمال الجسمانية، فيها ما طاب ولذّ بشكل أفضل وأحسن من النعم المادّية الجسمانية، كما أنّ فيها ظلمات وأهوالًا نتيجة الأخلاق السيّئة للإنسان أسوأ من أيّ عذاب أليم.

بعض الأحاديث الشريفة في هذا المضمار: حسن الخُلُق واحدة من مكارم الأخلاق: عن الإمام الصادق (عليه السلام): «**إِنَّ اَللهَ خَصَّ رَسُولَهُ (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ) بِمَكَارِمِ اَلْأَخْلاَقِ فَامْتَحِنُوا أَنْفُسَكُمْ فَإِنْ كَانَتْ فِيكُمْ فَاحْمَدُوا اَللهَ وَارْغَبُوا إِلَيْهِ فِي اَلزِّيَادَةِ مِنْهَا فَذَكَرَهَا عَشَرَةً اَلْيَقِينَ وَالْقَنَاعَةَ وَاَلصَّبْرَ وَاَلشُّكْرَ وَاَلْحِلْمَ وَحُسْنَ اَلْخُلُقِ وَاَلسَّخَاءَ وَاَلْغَيْرَةَ وَاَلشَّجَاعَةَ وَاَلْمُرُوءَةَ**»[٢٧].

- محبة الله: وعنه (عليه السلام): «عَلَيْكُمْ بِمَكَارِمِ اَلْأَخْلاَقِ فَإِنَّ اَللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّهَا وَإِيَّاكُمْ وَمَذَامَّ اَلْأَفْعَالِ فَإِنَّ اَللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبْغِضُهَا وَعَلَيْكُمْ بِتِلاَوَةِ اَلْقُرْآنِ إِلَى أَنْ قَالَ: وَعَلَيْكُمْ بِحُسْنِ اَلْخُلُقِ فَإِنَّهُ يَبْلُغُ بِصَاحِبِهِ دَرَجَةَ اَلصَّائِمِ اَلْقَائِمِ»[٢٨].

- كمال الإيمان: عن الإمام الباقر (عليه السلام): «إِنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»[٢٩].

- أثره في قبول التوبة: عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أَبَى اَللهُ لِصَاحِبِ اَلْخُلُقِ اَلسَّيِّئِ بِالتَّوْبَةِ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اَللهِ وَ كَيْفَ ذَلِكَ قَالَ لِأَنَّهُ إِذَا تَابَ عَنْ ذَنْبٍ وَقَعَ فِي ذَنْبٍ أَعْظَمَ مِنَ اَلذَّنْبِ اَلَّذِي تَابَ مِنْهُ»[٣٠].

- أثره في الدنيا: عن أبي عبد الله الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «اَلْبِرُّ وَحُسْنُ الْخُلُقِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ»[٣١].

- أثره في الآخرة: عن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم): «أَكْثَرُ مَا تَلِجُ بِهِ أُمَّتِيَ الْجَنَّةَ تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»[٣٢].

فإذا بلغ الخُلُق مستوى الأفعال الطبيعية في الإنسان، وغدا من قبيل القوى والوسائل، وظهرت سلطنة الحقّ وقهره، صار زواله صعبًا ونادرًا.

وما دامت النفس لم تبلغ هذا المستوى من التجذُّر الخُلُقي بواسطة التفكُّر والتدبّر والترويض، لم يكن لها أخلاق وكمال، ويُخشى أن تغلب عليها العادات والخُلُق السيّئ.

إنَّ هذه الأخلاق النفسية قد تكون في طبيعة الإنسان وفطرته، ومرتبطة بمزاج الإنسان من دون فرق بين

ما هو خير وسعادة أو شرّ وشقاء. ونحن نرى بعض الناس منذ نعومة أظافرهم يرغبون في الخير، وبعضهم ينزع نحو الشرّ. وأنّ بعضهم يُثار بأدنى شيء، ويستوحش من عمل بسيط، ويخاف من أقلّ سبب، وبعض يكون على عكس ذلك.

وفي مقدّمة القيم الأخلاقية التي حثَّ عليها الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة (تقوى الله) حيث قال (عليه السلام) موصيًا: «**أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ، بِتَقْوَى اللهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ وَبِهَا الْمَعَادُ: زَادٌ مُبْلِغٌ وَمَعَادٌ مُنْجِحٌ، دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ، وَوَعَاهَا خَيْرُ وَاعٍ، فَأَسْمَعَ دَاعِيهَا، وَفَازَ وَاعِيهَا. عِبَادَ اللهِ، إِنَّ تَقْوَى اللهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ اللهِ مَحَارِمَهُ، وَأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ، حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ، وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ؛ فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ، وَالرِّيَّ بِالظَّمَأِ، وَاسْتَقْرَبُوا الأَجَلَ فَبَادَرُوا الْعَمَلَ، وَكَذَّبُوا الأَمَلَ فَلاَحَظُوا الأَجَلَ**»[٣٣].

فالملاحظ في خطبه (عليه السلام) حرصه على وجوب تقوى الله ومخافته قبل كل أمر يبتغيه الموصي سواء أكان أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر دليل على يقين الإمام (عليه السلام) في كون الوازع الديني هو أقوى وازع يدفع الإنسان إلى فعل أي شيء يرضي الله سبحانه وتعالى، ولاسيَّما إذا ما اتَّقاه الإنسان، يقول (عليه السلام): «**أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ، فَإِنَّهَا حَقُّ اللهِ عَلَيْكُمْ، وَالْمُوجِبَةُ عَلَى اللهِ حَقَّكُمْ، وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللهِ، وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللهِ، فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحِرْزُ وَالْجُنَّةُ، وَفِي غَدٍ الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ، مَسْلَكُهَا وَاضِحٌ ، وَسَالِكُهَا رَابِحٌ ، وَمُسْتَوْدَعُهَا**

حَافِظٌ»[٣٤]، لذلك فتقوى الله سبحانه وتعالى ومخافته إنَّما هي الفوز الحقيقي والمنجاة من أهوال يوم القيامة.

ومن القيم الخلقية العالية التي حثَّ عليها الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة الصبر، فقد جاء عنه: «اطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الْيَقِينِ... وَعَوِّدْ نَفْسَكَ الصَّبْرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ، وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ»[٣٥]، فهو هنا يحذر من الاستسلام للجزع، ويؤكد على الأمل بتأكيده أنَّ مع الصبر قد تزال الهموم وتتبدل الأحوال وتتغير، وقد ربط (عليه السلام) الصبر بالإيمان، فلا إيمان بلا صبر بقوله: «أُوصِيكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آبَاطَ الْإِبِلِ... وَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ وَلَا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لَا رَأْسَ مَعَهُ وَلَا فِي إِيمَانٍ لَا صَبْرَ مَعَهُ»[٣٦].

ومن القيم والمثل الأخلاقية التي حث عليها الإمام، وكان لها الأثر الواضح في إصلاح المجتمع وبنائه بناءً قائمًا على أساس الخير للناس وصلاحهم هو العدل، فأشار (عليه السلام) إلى أنَّ من الإنصاف أن يوزن الإنسان نفسه قبل أن ينظر إلى غيره ولا يظلم أحدًا، كما أنَّه لا يحب أن يظلمه أحد، فقد وصى ابنه الإمام الحسن (عليهما السلام) بقوله: «يَا بُنَيَّ، اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلاَ تَظْلِمْ كَمَا لاَ تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحسَنَ إِلَيْكَ»[٣٧].

فهو (عليه السلام) قد أيقن أنَّ العدل مرتكز من مرتكزات الحكم،

لذا أفرط في الحث على وجوب الالتزام والعمل به تجاه الرعية، وأشار إلى قبح الظلم والظالم بقوله: «وَاللهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبِلَى قُفُولُهَا وَيَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا»(٣٨).

فالإمام (عليه السلام) أراد عبر وصاياه هذه وتأكيده القيم والمثل الأخلاقية أن يهذب ويقوّم السلوك الإنساني ويرتقي به نحو الفضيلة والابتعاد عن الرذائل والعفو عند المقدرة وكظم الغيظ، فهي تعاليم إرشادية تدعو إلى خير الفرد وصلاحه؛ إذ كان جلُّ اهتمامه (عليه السلام) هو أن يثقف الناس بما يرفع من مستواهم ويفتح عقولهم ويربيهم على أساس الالتزام بالقيم الإسلامية السامية ويربيهم على التقوى وإصلاح الذات والابتعاد عن كل ما من شأنه أن يشوب النفس الإنسانية ويعكّر صفوها.

المبحث الثاني

نماذج من الفضائل الأخلاقية الواردة في نهج البلاغة

إنَّ المباحث المطروحة في (نهج البلاغة) لا يمكن لشخص واحد أن يجمع ما فيها ويدرسها دراسة تحليلية عميقة وكاملة، فهو يتضمن بحوثًا كثيرة كل منها يستحق البحث والتحقيق بصورة مستقلة. وهذا القسم الذي أتناوله في بحثي هذا هو أحد هذه البحوث، لا أقول أكثرها تعمّقًا وعددًا، غير أنَّه أحد البحوث المهمة التي قد أكّد عليها

الإمام (عليه السلام) في نهجه.. فهو يعكس فيه أخلاقه العظيمة، أخلاقه الإسلامية الرائعة التي قد قام بها قولًا وعملًا، فهي تعد من الموازين الراقية لبناء الإنسان.. كل هذا قد عكسه الإمام (عليه السلام) في خطبه وحكمه الكثيرة، فعلينا أن نأخذ من سيرته هذه الومضة، ومن سير عظمائنا الأوائل، ونأخذ منهم خُلُقهم العالي في سيرهم حتى نعيد للإنسانية قيمتها العليا، فنحنُ بحاجةٍ إلى عطائهم، فهم زادٌ تربوي لنا.

وقد جمعنا الفضائل الأخلاقية التي وردت في نهج البلاغة، فكانت أكثر من (٤٥) فضيلة، إلّا أنَّنا ولرغبة منا في الاختصار وعدم الإطالة ارتأينا أن نذكر ثلاثة نماذج من هذه الفضائل هي:

المطلب الأول: السخاء

المتتبع لخطب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يجد فيها تراثًا ثرًّا، وإن هذه الخطب تعقد اللواء بين المتضادات التي تلازم حياة المؤمن في رحلته في الحياة الدنيا، وتنظم العلاقة بين العبد والمعبود، وتجعله يتكيف مع الحياة، ويتأقلم معها في إطار تلك المبادئ التي تؤكد في جوهرها مبدأ الثواب والعقاب.

فمن مكارم الأخلاق الحسنة والحميدة: (السَّخاء)، وهي الخصلة والصّفة الأخلاقيَّة الحميدة من خصال الأنبياء التي أخذت حيّزًا من أقوال الإمام عَلِيّ (عليه السَّلَام) وحكمه الواردة في هذا الشأن، فروي عنه (عليه السَّلَام) أنَّه قال: «اَلسَّخَاءُ خُلُقُ اَلْأَنْبِيَاءِ»[٣٩]، وإنَّ صفة السَّخاء من صفات الإنسان التي توجب على

الآخرين احترامه وتوقيره، وإنَّها من أفضل الصفَّات الأخلاقية وأكرمها، فروي عن الإمام عَلِيّ (عليه السَّلَام) قوله: «أَكْرَمُ اَلْأَخْلاَقِ اَلسَّخَاءُ»[٤٠]، وقال (عليه السَّلَام) أيضاً: «اَلسَّخَاءُ سَجِيَّةٌ»، وإنَّ هذه الخصلة إن توفّرت في الفرد، فهذا دليل على أنّه من عباد الله تعالى الصَّالحين الذين نالوا رضاه عنهم وحبّه لهم؛ لأنَّ مَنْ نال رضا الرَّحمن سبحانه وحبَّه له أودع هذه الخصلة فيه، فروي عن الإمام عَلِيّ (عليه السَّلَام): «اَلسَّخَاءُ وَالشَّجَاعَةُ غَرَائِزُ شَرِيفَةٌ يَضَعُهَا اللهُ سُبْحَانَهُ فِيمَنْ أَحَبَّهُ وَامْتَحَنَهُ»[٤١].

يُزادُ على ما تقدَّم من كلام بخصوص السخاء أنَّ من كان حاملًا لهذه الصّفة فهو من أشجع الناس من حيث إكرام الضيف وإعطاء السَّائل وغير ذلك، فروي عن الإمام عَلِيّ (عليه السَّلَام): «أَشْجَعُ اَلنَّاسِ أَسْخَاهُمْ»[٤٢]، وأيضًا أنَّ من مميزات هذه الخصلة أنَّها زينة الفرد وثمرة عقله ودليل على نُبل أخلاقه ورفعتها، فإن توفّرت في الفرد هذه الخصلة أصبح ذا عقل كامل ومتزنًا في تصرّفاته وتعامله مع النّاس، وذلك لأنّها على ما روي عن أمير المؤمنين عَلِيّ بن أبي طالب (عليه السَّلَام): «اَلسَّخَاءُ ثَمَرَةُ اَلْعَقْلِ»[٤٣].

الآثار المُترتِّبة على السَّخاء: إنَّ لكلّ خصلة أخلاقيَّة تترتَّب عليها آثار، وللسَّخاء آثار إيجابية تنعكس على حاملها، فمن آثارها:

١- أنَّ السَّخاء يكون أحد الأسباب التي تؤدّي إلى الألفة بين الآخرين وزرع الحبّ في قلوبهم، فروي عن الإمام عَلِيّ (عليه السَّلَام) أنَّه قال: «مَا اُسْتُجْلِبَتِ اَلْمَحَبَّةُ

بِمِثْلِ اَلسَّخَاءِ...»[٤٤]، وروي عنه (عليه السَّلَام) أنَّه قال: «اَلسَّخَاءُ يَزْرَعُ اَلْمَحَبَّةَ»[٤٥]، وقال أيضًا (عليه السَّلَام): «السَّخَاءُ يُكْسِبُ الْمَحَبَّةَ، وَيُزَيِّنُ الْأَخْلَاقَ»، وأنَّه أيضًا روي عن الإمام عَلِيّ (عليه السَّلَام) أنَّه قال عنه: «اَلسَّخَاءُ يُثْمِرُ اَلصَّفَاءَ»[٤٦]، أي: إنَّ السَّخاءَ يساهمُ أيضًا في صفاءِ قلوبِ النَّاسِ ولا يجعلهَا تتكدَّر بالحُقدِ والغَيض على الآخرين.

٢- وكذلك له دور فعَّال في تمحيص الذّنوبِ ويساعد الفرد على التَّخلّص منها، فروي عن الإمام عَلِيّ (عليه السَّلَام): «اَلسَّخَاءُ يُمَحِّصُ اَلذُّنُوبَ»[٤٧].

٣- يكون من الأسباب التي توجب توسعة الرّزق بالنسبة إلى الفرد إذا اجتمع مع حُسن الخُلق، فيؤكّد عليه الإمام عَلِيّ (عليه السَّلَام) فيما روي عنه: «عَلَيْكُمْ بِالسَّخَاءِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ فَإِنَّهُمَا يَزِيدَانِ الرِّزْقَ وَيُوجِبَانِ الْمَحَبَّةَ»[٤٨].

٤- ومن آثاره أنَّ كثرته تُزيد من أولياء الفرد وتساهم في إصلاح نفوس أعدائه، وهذا ما يؤكّده قول سيّد الوصيِّين (عليه السَّلَام)، فروي عنه أنَّه قال في هذا الشَّأن (عليه السَّلَام): «كِثْرَةُ السَّخَاءِ تُكْثِرُ الْأَوْلِيَاءَ وَتُسْتَصْلِحُ الْأَعْدَاءَ»[٤٩].

فالسَّخاء على ما جاء في أقوالِ الإمام عَلِيّ (عليه السَّلَام)، أنَّه من أفضل خصال الفرد، وأنَّه من أفضل مكارم الأخلاق؛ إذ يساهم في بناء المجتمع وتقويته من التفرقة وتماسك أفراده فيما بينهم.

المطلب الثاني: الزهد

الزهد: هو كلمة مرادفة إلى حبّ الدنيا والرغبة إليها، فهو فطامُ

النفس عن لذائذ الدنيا، والرغبة عن الدنيا عدولًا إلى الآخرة، وهو أحد منازل الدِّين وأرفع وأعلى مقاماته.

قراءة (الزهد) كجانب من شخصيته (عليه السلام) من خلال خطبه وأقواله التي يضمها كتاب نهج البلاغة الذي كان للشريف الرضي (طيب الله ثراه) فضل جمعه، وهو ما زال فينا كتابًا لم نقرأه حقّ القراءة، ونبراسًا لم نستضئ به حق الاستضاءة.

ما مفهوم الزهد عنده؟ أهو خلق معجز لا نستطيع بلوغه أم هو مدرسة نتعلم منها قدر ما نستطيع؟ أهو خضم فلسفة أم جادة صواب أم ثورة روحية؟ وما وسائله؟ وما سماته؟ وما غايته؟ أين الرهبانية والصوفية منه؟.

الزهد بالشيء -لغة- ضد الرغبة فيه، وعرفًا: الإعراض عن مباهج الدنيا وملاذها أو متاعها.

فما الزهد في عرف الإمام (عليه السلام)؟ يقول: «**أَيُّهَا النَّاسُ؛ الزَّهَادَةُ قِصَرُ الأَمَلِ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ، والورعُ عِنْدَ الْمَحَارِمِ**»[٥٠].

إنَّ هذا المفهوم للزهد علينا أن نجعله منهجًا ونطبقه في سلوكنا وحياتنا اليومية. ومفهوم الزهد في اللغة كما ذهب جملة من أصحاب معاجم اللغة هو الترك والإعراض والرغبة عن الشيء واحتقاره، وخلاف الزهد في الشيء الرغبة في الشيء. والجمع زهاد، ومادته (زهد) من باب شرف وفرح وضرب[٥١]، وأمَّا **الزهد في الاصطلاح**: فهو أن لا يريد الدنيا بقلبه ويتركها بجوارحه إلّا بقدر ضرورة بدنه، وبعبارة أخرى: هو الإعراض عن متاع الدنيا وطيّباتها من

الأموال والمناصب وسائر ما يزول بالموت[٥٢]، وأمَّا الزهد في القرآن الكريم فعن علي (عليه السلام): فلا يحرص كل الحرص على الأمور الدنيوية؛ لأنّها زائلة، بل يتركها مهما أمكن له ذلك، فيأخذ منها مقدار ما يعيش. وبما أنّ الدنيا دار فناء فلا يطول أمله، وبهذا المضمون جاء عن الأمير (عليه السلام): «أَيُّهَا النَّاسُ؛ الزَّهَادَةُ قِصَرُ الأَمَلِ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ، والورعُ عِنْدَ الْمَحَارِمِ»[٥٣]. ما يستفاد من الرواية أنَّ الزهد ليس هو عدم الحصول على شيء ولا رفض نعم الدنيا، بل هو عدم التعلّق بالدنيا والتشبث بمغرياتها والانشغال بالنعم دون المنعم، فعن الصادق (عليه السلام): «لَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا بِإِضَاعَةِ الْمَالِ وَلَا تَحْرِيمِ الْحَلَالِ، بَلِ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَا تَكُونَ بِمَا فِي يَدِكَ أَوْثَقَ مِنْكَ بِمَا عِنْدَ اللهِ (عَزَّ وَجَلَّ)»[٥٤]. فلا يجزع جزع الحريصين إذا أُصيب بمصيبة أو خسر شيئًا، ولا يفرح فرح المنتصرين إذا أُعطي نعمة، فهو يأسِر الدنيا أو نِعَم الدنيا لا أنّه أسير للدنيا ونعمها، فكأنَّما الإمام (عليه السلام) يردّ توهمًا هو أنَّ الزهد إضاعة المال وتحريم ما أحل الله، فجاء الإمام (عليه السلام) ليبيّن معنى الزهد الحقيقي، وأنَّ ما في يد الإنسان يزول ويذهب، وأمَّا ما عند الله فهو باق.

وهنا تجدر الإشارة إلى وجود الفرق بين الزهد والتصوّف، فمعنى الزهد يتحقق بمجرد الإعراض عن الدنيا ومتاعها، وأمَّا التصوّف فقد أخذ في مفهومه مجاهدة النفس وترويضها، والزهد ثمرة من ثمرات التصوف، وليس التصوف من

الشعائر والعقائد الدينية.

عَرَّفه أيضًا فقال: (التَّصَوُّفُ تَصفيةُ القَلبِ عن موافَقةِ البَرِيَّةِ، ومُفارَقةُ الأخلاقِ الطَّبعيَّةِ، وإخمادُ الصِّفاتِ البَشَريَّةِ، ومُجانَبةُ الدَّواعي النَّفسانيَّةِ، ومُنازَلةُ الصِّفاتِ الرَّبَّانيَّةِ، والتَّعَلُّقُ بعُلومِ الحَقيقةِ، واتِّباعُ الرَّسولِ في الشَّريعةِ)[٥٥].

وقال سُحنون: (التَّصَوُّفُ هو أن لا تَمْلِكَ شَيئًا، ولا يَملِكَك شَيءٌ)[٥٦].

أسباب الزهد: ما يدفع الإنسان إلى أن يزهد في الدنيا وما فيها أشياء كثيرة، سأكتفي بذكر بعضها:

١- التمسك بالدائم، فالإنسان العاقل يتمسك بالشيء الدائم والباقي لا الشيء الفاني والزائل، لذلك يقيم للدنيا وزنًا.

٢- الاستقرار والطمأنينة، الإنسان دائمًا يطلب الاستقرار والطمأنينة طلبًا حثيثًا، وهذان يحصلان بالزهد، فلا يحرص على شيء من هذه الحياة الدنيا.

٣- قلّة مدّة الحساب يوم المحشر، لأنّ هذه الحياة الدنيا في حلالها حساب، وفي حرامها حساب، وفي الشبهات عتاب، فبمقدار رفع الإنسان يده عن مغريات الدنيا يقل حسابه ولا يطول وقوفه يوم القيامة، فعن الصادق (عليه السلام) حينما سئل عن الزهد قال: «**الَّذِي يَتْرُكُ حَلَالَهَا مَخَافَةَ حِسَابِهِ، وَيَتْرُكُ حَرَامَهَا مَخَافَةَ عِقَابِهِ**»[٥٧].

٤- مواساة الفقراء بسطاء العيش من الناس، فعندما سئل علي (عليه السلام) عن سبب زهده على الرغم من كونه حاكمًا، فأجاب: «**إِنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَىٰ أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ، كَيْلَا يَتَبَيَّغَ**

بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ»[٥٨]. كلمات الأمير (عليه السلام) في الزهد: قوله: «وَلأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ»[٥٩]. إنّ عليًّا (عليه السلام) يشبّه الدنيا بالشيء الحقير حيث لا أحد يتسابق، بل يطلب الشيء الحقير، فهي عنده ليست بشيء، فلا يرى منصبًا ولا جاهًا ولا كرسيًّا ولا شيئًا له قيمة، إنَّ من يزهد في الدنيا فهو ينظر إلى الآخرة هكذا. ومن كلامه (عليه السلام): «وَاللهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ أَلاَ تَنْبِذُهَا عَنْكَ فَقُلْتُ اُعْزُبْ عَنِّي فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى»[٦٠]، الأمير استعمل هنا مثلًا عند العرب وهو (عند الصباح يحمد القوم السرى)، وهو مثلٌ يضرب لمن يحتمل المشقّة عاجلًا ليصل إلى الراحة آجلا، فهو (عليه السلام) يتحمّل قساوة العيش وشدّته ليصل إلى الآخرة سالمًا، فأقلّ ما فيها يكفيه. -ومن كلامه (عليه السلام): «وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي أَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضِمُهَا مَا لِعَلِيٍّ وَنَعِيمٍ يَفْنَى وَلَذَّةٍ لاَ تَبْقَى؟»[٦١].

وجاء في شرح ابن أبي الحديد: (فسر عليه السلام الزهادة - وهي الزهد - بثلاثة أمور... فقال: لا يسمى الزاهد زاهدا حتى يبلغ هذه الامور الثلاثة).

ثلاثة مبادئ وأركان يقوم الزهد بها مجتمعة:

١- أمَّا قصر الأمل فهو عدم الركون إلى متاع الدنيا لسرعة زواله وضالة شانه إذا ما قيس بمتاع الآخرة، ولأنَّه يشغل عنها بما يستزيده من رغبة الإنسان في الدنيا.

ولذا قال المعلّم الأول محمد (صلى الله عليه وآله): «لاَ تَتَّخِذُوا الضَّيْعَةَ فَتَرْغَبُوا فِي الدُّنْيَا»[٦٢].

٢- وأمَّا الشكر عند النعم، فمنجاة من البطر، وحفاظ على صلة لابس النعمة بواهبها، ومن ثَمَّ فهذا منجاة منه الركون إلى الدنيا ونسيان المنعم الكريم.

٣- وأمَّا الورع عند المحارم ففيه صون للنفس وحماية لها من المعاصي: ومن الحيادة عن الحق. قال (عليه السلام): «فَإِنْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ فَلَا يَغْلِبِ الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ وَلَا تَنْسَوْا عِنْدَ النِّعَمِ شُكْرَكُمْ»[٦٣].

فإنْ عزب أي بَعُدَ (أو شق عليكم بلوغها مجتمعة، فلتغالبوا ما يستهوي أنفسكم من حرام الدنيا، وهذا يحتاج إلى صبر. وأديموا الشكر عند النعم كيلا تغلبكم الدنيا، فهل نكون زهادا بهذين الشرطين؟ قال ابن أبي الحديد: (أمران من الثلاثة لا بُدَّ منهما، وهما الورع وشكر النعم، جعلهما آكد وأهم من قصر الأمل).

إنَّ الزهد يبلغ بهما وليس قصر الأمل أقل منهما أهمية، وقد أكّدت خطب الإمام (عليه السلام) وأقواله أهمية الاستهانة بالدنيا لبلوغ الزهد، ومن ذلك قوله: وهنا لا ينفي وجود النعيم؛ نعم يوجد نعيم لكنه غير دائم وزائل، ولم ينف اللّذة، لكنه يصفها بالفناء وعدم البقاء، فإذا كان هذا وصفها فعلام التمسّك بها؟ - وأخيرًا من كلامه (عليه السلام) وهو يخاطب الدنيا: «إِلَيْكِ عَنِّي يَا دُنْيَا فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ قَدِ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ وَأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ وَاجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاحِضِكِ»[٦٤]. ينقل

عن الأحنف بن قيس قال: «دخلت على علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقت إفطاره إذ دعا بجراب مختوم فيه سويق الشعير، فقلت: يا أمير المؤمنين لم أعهدك بخيلا فكيف ختمت على هذا الشعير؟، فقال: لم أختمه ولكن خفت أن يلينه الحسن والحسين بسمن أو زيت، قلت: هما حرام عليك؟ فقال: لا، ولكن يجب على الأئمة أن يتغذوا بغذاء ضعفاء الناس وأفقرهم ليراهم الغني فيزداد شكرًا وتواضعًا لله (سبحانه وتعالى)»[٦٥]. فها هو الأمير (عليه السلام) يعلّمنا بأنّه ليس كلُّ شيء مباح نمارسه. يحدّثنا المؤرخون عن لباسه أنّه كان كرباسًا خشنًا غليظًا رخيصًا لا يتجاوز ثمنه ثلاثة دراهم وكان يرقّعه عند الحاجة، هكذا كان لباسه (عليه السلام). وأمّا موقفه مع قصر الإمارة فالمعروف حينما تشرفت الخلافة به، جاؤوا به إلى القصر بوصفه حاكمًا، فقال لهم (عليه السلام):

«أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَتَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَطُولُ الأَمَلِ؛ فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ»[٦٦].

وما دام طول الأمل ينسي الآخرة، ولا زهد مع نسيان الآخرة، فلا زهد بلا قصر الأمل، ويزداد الأمر وضوحًا ورسوخًا بقوله (عليه السلام): **«الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ وَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَاضِي وَلَمْ يَفْرَحْ بِالآتِي فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ»**[٦٧].

أفلا يعني هذا أنَّ قصر الأمل في

الدنيا يشكل القاعدة المهمة التي يقوم عليها الزهد؟ إنَّه ليذكرنا بتقسيمه للناس أمام الجنة والنار إلى ثلاثة: ساع سريع نجا، وبطي رجا، ومقصر هوى.

أمَّا الزاهد العابد الذي أخذ الزهد بطرفيه، فقد سعى إلى الآخرة سريعًا فَنَجَا، وأمَّا البطيء الذي عاقت الدنيا سعيه فراح يغالبها صابرًا شاكرًا فقد رَجَا رحمة الله، ومَنْ لم يفز بشيء ممَّا سبق فقد هوى.

١- نيل الزاهد المحبّة من الله (سبحانه وتعالى) ومن الناس، ومن نال ذلك فقد عاش سعيدًا، ففي الرواية: «اِزْهَدْ فِي اَلدُّنْيَا يُحِبَّكَ اَللهُ وَاِزْهَدْ عَمَّا فِي أَيْدِي اَلنَّاسِ يُحِبَّكَ اَلنَّاسُ»[٦٨].

٢- إثبات العلم والحكمة، فعن النبي (صلَّى الله عليه وآله): «إِذَا رَأَيْتُمُ الْعَبْدَ قَدْ أُعْطِيَ صَمْتًا وَزُهْدًا فِي الدُّنْيَا فَاقْرُبُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلَقَّى الْحِكْمَةَ»، وعنه (صلَّى الله عليه وآله): «مَنْ أَرَادَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ عِلْمًا بِغَيْرِ تَعَلُّمٍ وَهُدًى بِغَيْرِ هِدَايَةٍ فَلْيَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا»[٦٩].

٣- الأمن يوم الحساب يوم لا ظلَّ إلّا ظلّه، فعن النبي (صلَّى الله عليه وآله): أنّه «قَالَ اللهُ تَعَالَى لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ: يَا أَحْمَدُ... هَلْ تَعْرِفُ مَا لِلزَّاهِدِينَ عِنْدِي فِي الآخِرَةِ؟، فَقَالَ: لَا يَا رَبِّ، قَالَ: يُبْعَثُ الخَلْقُ وَيُنَاقَشُونَ بِالحِسَابِ وَهُمْ فِي ذَلِكَ آمِنُونَ...»[٧٠].

موانع الزهد من أبرز موانع الزهد:

١- إيثار الدنيا على الآخرة، فمن آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بأحد ثلاث كما في الحديث عن النبي (صلَّى الله عليه وآله): «مَنْ آثَرَ

الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ابْتَلَاهُ اللهُ بِثَلَاثٍ: هَمًّا لَا يُفَارِقُ قَلْبَهُ أَبَدًا، وَفَقْرًا لَا يُسْتَغْنَى أَبَدًا، وَحِرْصًا لَا يَشْبَعُ مَعَهُ أَبَدًا»(٧١).

٢- طول الأمل واتّباع الهوى، ففي الحديث الشريف: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَتَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَطُولُ الأَمَلِ». إنَّ هذه موانع تحجب الإنسان عن الزهد ورقي روحه، فيظلّ متمسّكًا بهواه خالدًا للأرض؛ لأنّه عظّم الدنيا فكبرت في عينه حتى آثرها على الآخرة، فيبتلى بهمٍّ وفقر وشقاوة.

ماذا قالوا في زهد علي (عليه السلام)؟ يقول ابن أبي الحديد المعتزلي: "وأمَّا في الدنيا فهو سيِّد الزهاد وبدل الأبدال وإليه تشد الرحال، ما شبع من طعام قط، وكان أخشن الناس مأكلًا وملبسًا"(٧٢)، وكان يقول: "لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان"، وهو الذي طلّق الدنيا ثلاثًا، وكانت الأموال تجبى إليه من جميع بلاد الإسلام. وعن عمرو بن عبد العزيز: ما علمنا أنَّ أحدًا كان في هذه الأمّة بعد النبي (صلَّى الله عليه وآله) أزهد من علي بن أبي طالب (عليه السلام). حريٌّ بالإنسان المؤمن أن يقتدي بأمير المؤمنين (عليه السلام) ويرفض هذه الدنيا الفانية ويتمسّك بالآخرة الباقية. هي مبادئ بسيطة يقوم عليها الزهد في مدرسة الإمام المنبثقة من مدرسة الإسلام إذا اجتمعت بلغ بها الزاهد مرتبة الكمال البشري وإن لم تجتمع بلغ ما دون ذلك.

فليس الأمر معجزًا، ولا هو وليد تأويلات فلسفية كما سنرى في الصوفية، بل هو مدرسة نتعلم فيها

الاهتداء إلى جادة العبور من الدنيا إلى الآخرة. وبالبساطة نفسها يجلو الإمام (عليه السلام) الصلة بين الدنيا والآخرة:

(الدنيا دار ممر، لا دار مفر) «إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ»[٧٣]، الرحلة شاقّة لِمَا حفّت بها من بهارج، والدَّرب كثيرة المزالق والمداحض.

فمن اجتازها جادًّا إلى قصده لم يثنه جمال المشهد عن طلب المرام، ولم يشغله جمال الرياض وألوان الجبال إلّا بقدر ما يخفف من وعثاء السفر، ولم يحزنه فوتها مادام يقترب من القصد. أمَّا من اجتازها بطيئًا فسوف يشغله ما حفَّ بها عن السعي الجاد.

«فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا وَلَمْ يُصِبْ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئاً إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ حِرْصاً عَلَيْهَا»[٧٤]. يمكن أن نعرّف (الزهد) هنا بأنَّه ذلك النضج العقلي أو السمو الإنساني الذي بلغ بصاحبه ذروة من الكمال يطل منها على الدنيا فتبدو لعين عقله أقل شأنًا من أن يشغله عن حقيقته الأزلية وهي صلته بالخالق وشوقه إلى وجهه، أو بعبارة أبسط: يبدو كل ما فيها وسيلة والآخرة هي الغاية، عملًا بالآية الكريمة: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾[٧٥].

بعد أن بيَّنّا جادّة الصواب في الزهد، يجدر بنا أن نبحث عن صورة لحياة الزاهد في الدنيا، فربما قدَّم لنا الوصف مزيدًا من وضوح النهج إمامنا، وقد ورد في كتاب النهج وصف الزهاد في أكثر من موضع ولكن أوجزه وأشمله ما جاء في

قوله (عليه السلام): «كَانُوا قَوْماً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا، فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا، عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ، وَبَادَرُوا فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ، تَقَلَّبُ أَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَهْلِ الآخِرَةِ، يَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعَظِّمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَاماً لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ»(٧٦).

الزاهد: من أهل الدنيا، يعيش جسديًّا على الخبز والماء والهواء، وليس من أهلها فيما عدا ذلك، فهو مشغول بالآخرة انشغالهم بالدنيا. يفتدي بعقله (بصيرته) افتداءهم بأهوائهم، يطلب الموت بمقدار ما يفرون منه؛ لأنَّه مطمئنٌّ إلى ما بعده وهم خائفون، عصم بدنه عن ملاذها ونذره للآخرة بقدر ما اعرفوا أبدانهم بالمتع، فهان عنده موت الجسد بقدر ما عظم عندهم، واستعظم رسوخ قلوبهم في الدنيا بقدر ما غرقوا في الغفلة. وكأنَّ الغربة في الدنيا صارت شعبة من شعب الزهد، وهذا مصداق الحديث الشريف: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»(٧٧).

ونقرأ -في هذا- القاعدة الأساسية لحياة الزاهد لا جملة أخلاقه ومبادئه وفضائله التي سنعود إليها في بحث سمات زهد الإمام (عليه السلام).

- كان الإمام (عليه السلام) أعمق المؤمنين صلة بالقرآن الكريم، فقد عَبَدَ الله مع النبي (صلى الله عليه وآله) قبل أن يعبده أحد وسمع القرآن قبل أن يسمعه أحد: «كُنْتُ أَسْمَعُ اَلصَّوْتَ وَأُبْصِرُ اَلضَّوْءَ سِنِينَ سَبْعاً»(٧٨)، وهو بعد غضُّ الإهاب، مرهف القلب، متوقد الفكر، مرهف

المشاعر، فنزل القرآن على قلبه نزول المداد على الرقعة البيضاء.

- نزلت السور القرآنية ببيان ساحر ووصف مؤثر، فحقرت من شأن الدنيا أبلغ تحقير وعظمت شأن الآخرة بحاليها جحيمًا ونعيمًا.

فإذا صور الجنة أخّاذة رائعة بين سعادة روحية ونعيم بدني، ينشرح لها الصدر، ونحن النفس وينحفر الضمير إلى الثواب، حتى لتغدو النفس البشرية وكأنها زجاجة صافية ما فيها إلّا إشراقة العقل ووجيب القلب.

- ومن ثم جاءت موعظة الإسلام لتضيء جادة اليمين وتحذر من جادة الشمال، فتصف المؤمنين في الدنيا بالورع والتقوى والإيثار والتواضع والرحمة والزهد في الدنيا، وتصفهم في الآخرة متكئين على الأرائك تشع وجوههم نضرة ونفوسهم غبطة، ينظرون إلى وجه الله وقد رضي الله عنهم ورضوا عنه.

وتصف الكافرين على النقيض من ذلك في الدنيا والآخرة.

فإذا بأصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) الأوائل يشتعلون حماسة للقاء وجه ربهم ويأخذون أنفسهم بكل ما يقرّبهم من الله من صفات أسبغها القرآن الكريم على المؤمنين المقربين، فإذا هم زهاد في الدنيا على أروع ما يكون الزهد حالًا وإمامهم في ذلك بعد النبي علي (عليه السلام) يقرأون القرآن وكأنَّه نداء روحي يفجر في نفوسهم العجائب.

- وبعد غياب الرسول، وتحسن حال المسلمين وتهافت أكثرهم على الدنيا صار الزهد ضرورة لا بُدَّ منها، فراح الصابرون منهم يتخذون

منه شعارًا بل مبدأ ثوريًّا في ملحمة الإسلام يرفعونه في وجه زعامة المسلمين التي تهاونت أو تواطأت مع ذلك الانحدار الخطير في مسار رسالة محمد، وراحت خطب الإمام (عليه السلام) تحفزهم وتنطق باسمهم، ولمعت أسماء سلمان المحمدي، وأبي ذر الغفاري وحذيفة بن اليمان... وبدا الزهد يتخذ طابع تيار ثوري ضمن مدرسة الإسلام وأخذت أُسسه تتبلور من خلال خطب الإمام (عليه السلام) وسيرته وأصحابه.

وسائل الزهد

لم يأل للإمام علي (عليه السلام) جهدًا في دعوه الناس إلى الزهد.

وفي خطبه الشريفة أساليب متعددة لهذه الدعوة بين نصائح مباشرة أو دعوة إلى الاعتبار والتبصّر أو ذم للدنيا وتهوين لشأنها في مقابل تعظيم الآخرة.

ولكن أروعها اتخاذه من نفسه وسيرته نبراسًا يضيء لهم طريقهم، فمن مواعظه المباشرة: «**انْظُرُوا إِلَى الدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا، الصَّادِفِينَ عَنْهَا**»(٧٩). و«**عِبَادَ اللهِ أُوصِيكُمْ بِالزَّفْضِ لِهَذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا**»(٨٠).

ولعل القول الثاني يوضح المقصد من القول الأول، أي إنَّها ستتركنا غير عابئة بنا، ولن يهون علينا فراقها إلّا الزهد فيها ومبادرة الفراق قبل حلوله، فلنستقبلها بما تودعنا به من إعراض وقلّة احتفال.

وكيف يكون الرفض؟ هل هو رفض لكل ما فيها وهروب من مسؤولياتنا فيها من عمل وجهاد وطلب للعلم ونشر لدين الله؟.

- إنَّ الدنيا في خطب الإمام

(عليه السلام) مثلها في القرآن الكريم والحديث الشريف، ليست نقيضة الآخرة بل سبيل إليها، هي دار ممر وابتلاء وتزوّد، ولذا كان يقول: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ فَفِيهَا اخْتُبِرْتُمْ وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ»[٨١].

إنَّه رفض الحذر المتحرّر من سلطانها، رفض من يريدها تسلس قيادها له ولا يسلس قيادة لها؛ لأنَّ إسلاس القياد للدنيا مهلكة لأنَّها حافلة بألوان الغرور.

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ وَتَحَلَّتْ بِالْآمَالِ وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ»[٨٢].

إنَّ في خضرتها لفتنة، وإنَّ في شهواتها لقوة، تطل على الإنسان من كل باب وتعترض سبيله متبرجة، وتسنح له مع كل سانحة، حتى نوقظ الغرائز وتولب الأهواء، وتخدع البصيرة، فلا ينجو من غرورها إلّا من أوتي صبرًا عظيمًا.

«مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ، لَيِّنٌ مَسُّهَا، وَالسَّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا، يَهْوِي إِلَيْهَا الْغِرُّ الْجَاهِلُ، وَيَحْذَرُهَا ذُو اللُّبِّ الْعَاقِلُ»[٨٣].

- لا ينخدع بها ذو اللب؛ لأنَّه يدرك غدرها، وغدرها نتيجة محتومة لسرعة تقلّبها، فما يكاد الإنسان يأنس بها ويستطيب طيبها حتى تفجعه بما استهواه وملك عليه لبّه، لذلك أفاضت خطبه (عليه السلام)

بعرض هذه الصفة من صفات الدنيا محذرة ومكررة، فهي تارة: («لاَ تَدُومُ حَبْرَتُهَا، وَلاَ تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا. غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ، نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ»)[٨٤].

ومن صفاتها تارة أخرى: «فَإِنَّهَا غَدَّارَةٌ غَرَّارَةٌ خَدُوعٌ مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ لاَ يَدُومُ رَخَاؤُهَا وَلاَ يَنْقَضِي عَنَاؤُهَا وَلاَ يَرْكُدُ بَلاَؤُهَا»[٨٥].

يكثر مثل هذا الوصف في خطب الإمام (عليه السلام) للدنيا، وفي مواضع كثيرة من نهج البلاغة، فيأتي بأدق الوصف وأعمق التحليل لأحوالها بأساليب بلاغية رائعة، وقد ورد ذم الدنيا فيما ينوف على خمسين خطبة أو حديثًا له (عليه السلام)، ونستطيع أن نجمل الصفات الواردة للدنيا بما يلي: الإغراء والغرور، إشرافها على الزوال، الخير فيها مشوب بالشر، تربص دهرها بأهلها، سوء عاقبة الركون إليها ووعورة مركبها صغر شأنها عند الله...

- ولكن الدنيا لا تقصر في مكاشفة الإنسان العبرة والعظة: فـ «مَا أَكْثَرَ الْعِبَرَ وَأَقَلَّ الِاعْتِبَارَ»[٨٦].

وذمّ الإمام لها ليس هدفًا بل إمعانًا في التنبيه والتحذير وطلبًا للعظة والاعتبار، فهو يصفها لمن يذمّها قائلًا: (أتغترُّ بالدنيا ثم تذمّها؟) ثم يقول: «إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا، وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا، وَدَارُ غِنَاءٍ لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا، وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنِ اتَّعَظَ بِهَا»[٨٧].

كل أولئك واجد فيها مبتغاه.

روى ابن أبي الحديد عن بعض الكتب الإلهية القديمة أنَّ الله سبحانه قال لها: «يا دنيا من خدمنا فاخدميه،

ومن خدمك فاستخدميه»، فهي لا تناصب خليفة الخالق العداء، ولا تنصب له شباك الهلاك. ولكنه يراها ولا يبصرها يقوده هواه فيقع في حبائلها.

(حقًّا أقول: ما الدنيا غرّتك ولكن بها اغتررت، ولقد كاشفتك العظات، وآذنتك على سواء- ولهي- بما تعدك من نزول البلاء بجسمك، والنقص في قوتك- أصدق وأوفى من أن تكذبك أو تغرّك)[٨٨].

إنَّها تقدّم له العظة تلو العظة بما يبتلى به غيره أو بما يبتلى به هو، وما عليه إلّا أن يقرأها كما يقرأ في الكتاب فيتعظ ويعتبر، فما غاية العظة؟.

- يكفي أن يتعظ بمصير السابقين وفيهم من بلغ من الغنى أو السلطان حدًّا عاليًا ليذكر أنَّه لاحقٌ بهم لا محالة، وعندها يزهد في عرضها، وبالزهد يزداد بصيرة.

«ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُبَصِّرْكَ اللهُ عَوْرَاتِهَا، وَلاَ تَغْفُلْ فَلَسْتَ بِمَغْفُولٍ عَنْكَ»[٨٩]، وهكذا فإنَّه «مَنِ اعْتَبَرَ أَبْصَرَ، مَنْ أَبْصَرَ فَهِمَ، وَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ»[٩٠].- تسلسل رائع يحمل الإنسان على أخذ نفسه بالرياضة، بالتدرّب على الزهد.

العبرة تقود إلى الزهد، والزهد إلى البصيرة الواعية، والبصيرة إلى الفهم، فهم ما فطرت عليه الدنيا، وفهم ثوابها وعقابها، ثم إلى العلم...!

- فإن لم يكف الإنسان كل هذا ليعتبر فيبصر، فإنَّ أمامه من القدوة ما يفتح القلب العمى، أتظنُّ أيُّها الإنسان أنَّ في الزهد مذلّة؟ لو كان كذلك ما رضيه الله لأنبيائه وإن كان الزمن قد باعد بيننا وبينهم، ففي الكتاب خبرهم وإن لم يردنا خبر

الكتاب، ففي سيرة النبي (صلى الله عليه وآله) أحسن قدره.

(وقد كان- صلى الله عليه وآله- يأكل على الأرض- ويجلس جلسة العبد، ويخصف بيده نعله، ويرفع بيده ثوبه...)[٩١]. وما سيرة الإمام (عليه السلام) إلّا استمرار لسيرة النبي (صلى الله عليه وآله).

لذا جعل منها درسًا عظيمًا شاملًا في المدرسة الشاملة، وهذا الدرس يفرضه كونه في محلّ قطب الرحى من قيادة المؤمنين، ومولاهم جميعًا «اَللَّهُمَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ»، وهو مرجعهم بعد غياب النبي (صلى الله عليه وآله)، وحجة الله على خلقه.

وهو في ذلك كلّه المثل الأعلى لهم والقدوة التي لا تدرك، وقد حفلت كتب التاريخ والسيرة بأخبار زهده المعجز، وحفلت خطبه بدروس الاقتداء حتى إنَّه يصرح بواجب اقتدائهم بسيرته، فها هو ذا يكتب إلى عثمان الأنصاري عامله على البصرة: «أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ. أَلاَ وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ. أَلاَ وَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ»[٩٢].

ها هي ذي سيرته، فهو قدوة لعماله ورجاله، ولكنَّ صبره معجز لا يستطيعونه، ولا يريد أن يحملهم على المشقّة، فليأخذوا أنفسهم بما يجب أن يتصف به كلّ حاكم ورع عن الحرام؛ لأنَّه يصدُّ عن الحق، والاجتهاد في طلب العلم والثواب لكيلا يطول الأمل، والتعفّف عند الطمع لئلّا تشغلهم الدنيا، وسداد

البصيرة حتى لا يغلبهم غرورها.

ومن رائع سيرته في الزهد حديث (المدرعة) التي قال فيها: «وَاللهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا، وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ: أَلَا تَنْبِذُهَا عَنْكَ؟! فَقُلْتُ: اغْرُبْ عَنِّي، فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى»[٩٣].

غاية الزهد

إذا كان هدف كل من الصوفية والرهبانية إنفاذ النفس البشرية (الذات) من مداحض الدنيا تقرّبًا إلى الخالق، فإنَّ غاية الزهد ليست فردية ذاتية فقط، بل إنَّنا نستطيع أن نلمس فيه الهدف الذاتي والغاية الغيرية العامة. وأهم ما يرمي إليه:

عصمة النفس

«إِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْأَكْبَرِ»، وليس هذا إذلالًا لإنسانيَّتها، بل ارتقاء بها عمَّا يحول دون خلودها. ومن نافلة القول أن نذكر أنَّ العصمة عن طريق الزهد غير النجاة السلبية الهاربة بالرهبانية أو التصوف.

الخلاصة

أولًا: النتائج

١- يمثّل كتاب نهج البلاغة دائرة معارف من الثقافة الإسلامية تجمع في خضمها معارف مختلفة من قبيل: معرفة الله تعالى، وعالم الملائكة، وطبيعة نشوء العالم، وطبيعة الإنسان.

٢- إنَّ الإمام علي (عليه السلام) بشرٌ مثلنا، له عقل يفكّر به، ودين يتمسّك به، وعاطفة وغريزة. ولكن العاطفة والغريزة التي تميّزنا عنه هو كوننا قد تجاوز حدّها المعقول التي رسمت لها. فهي قد تقودنا إلى الطغيان والظلم، فهذه هي نزعة

جميع أفراد البشر قاطبة، لهم بواعث وزواجر من الداخل قد تدفعهم إلى فعل الشر وتغلبه على فعل الخير.

ثانيًا: التوصيات

١- يجب أن يدرس نهج البلاغة في الجامعات والمعاهد، وأن تقام ندوات، وليس ذلك فقط، وإنَّما يُدرّس بوصفه مادة أساسية كاللغة العربية وغيرها.

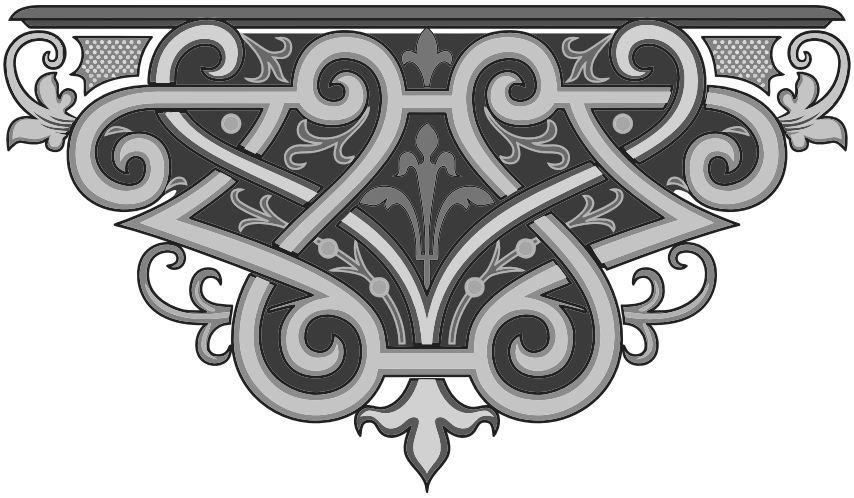

الهوامش

(١) الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة: ١٧٣.

(٢) سورة القلم: آية ٤.

(٣) الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هج)، القاموس المحيط: ٨٨١، ابن منظور: ١٠/ ٨٦، الزبيدي، تاج العروس ٢٥/ ٢٥٧.

(٤) الراغب الأصفهاني (ت ١١٠٨ هج)، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٢٩٧.

(٥) ابن مسكويه، أحمد (ت ١٠٣٠ هج)، تهذيب الأخلاق: ٥١.

(٦) ابن سينا، أبو علي (ت ١٠٧٣ هج)، الشفاء قسم الإلهيات: ٢/ ٤٢٩.

(٧) حنبكة، عبد الرحمن بن حسن، الأخلاق الإسلامية وأسسها: ١٠.

(٨) بالجين، مقداد، التربية والأخلاق الإسلامية: ٧٥.

(٩) مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط: ١/ ٢٥٢.

(١٠) أحمد أمين، كتاب الأخلاق: ٨.

(١١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ٦/ ٢٧٥.

(١٢) مرسي، محمد منير، التربية الإسلامية وأصولها وتطورها: ١٤٨.

(١٣) القحطاني، سعد، الخلق في ضوء الكتاب والسنة: ٦.

(١٤) سورة النحل: ٩٠.

(١٥) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ١٢/ ٣٣٠.

(١٦) سورة الأعراف: ١٩٩.

(١٧) سورة الحجرات: ٦.

(١٨) سورة الحجرات: ١٣

(١٩) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ١٨/ ٣٢٧.

(٢٠) سورة العنكبوت: ٤٥.

(٢١) سورة التوبة: ١٠٣.

(٢٢) سورة البقرة: ١٨٣.

(٢٣) سورة البقرة: ١٩٧.

(٢٤) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القران: ٢/ ٧٩.

(٢٥) الشافعي، البيان: ١٠/ ٣٣٣.

(٢٦) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١١/ ٣٩.

(٢٧) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ١١/

.٣٩

(٢٨) وسائل الشيعة: ١٥/ ٢٠٠.

(٢٩) وسائل الشيعة: ١٥/ ١٠٠.

(٣٠) الكليني، الكافي: ٢/ ٣٢١.

(٣١) الكافي: ٢/ ١٠٠.

(٣٢) المصدر نفسه.

(٣٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٩١، ص ٢٠٦.

(٣٤) المصدر نفسه.

(٣٥) نهج البلاغة، ص ٤٦١.

(٣٦) نفس المصدر، ص ٦١٧.

(٣٧) نفس المصدر، ص ٥٠٤.

(٣٨) نفس المصدر، ص ٥٤٨- ٥٤٩.

(٣٩) التميمي، عبد الواحد، الآمدي، غُرر الحكم ودُرر الكلم: ١٦٠.

(٤٠) الواسطي الليثي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ١٢٢.

(٤١) البيّاتي، جعفر، الأخلاق الحُسَينيَّة: ١٢٩.

(٤٢) الواسطي الليثي، عليّ بن مُحَمَّد، عيون الحكم والمواعظ: ١١٧.

(٤٣) التّميمي، عبد الواحد الآمدي، غُرر الحكم ودُرر الكلم: ١٦٠.

(٤٤) الرَّيشهري، مُحَمَّد، موسوعة الإمام عَلِيّ (عليه السَّلَام)، ١٠/ ٢٢٥.

(٤٥) التّميمي، عبد الواحد الآمدي، غُرر الحكم ودُرر الكلم: ١٦٠.

(٤٦) الواسطي، عليّ بن مُحَمَّد الليثي، عيون الحكم والمواعظ: ٤٢.

(٤٧) الرَّيشهري، مُحَمَّد، ميزان الحكمة: ٢/ ١٢٧٧.

(٤٨) نفس المصدر.

(٤٩) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ٢/ ١٢٧٧.

(٥٠) نهج البلاغة: ٧٠.

(٥١) معجم الطراز الأول: ٥/ ٤٠٦.

(٥٢) جامع السعادات، الطبعة الأولى (ط الأميرة) ص ٣١٥.

(٥٣) نهج البلاغة، خطبة ٧٩.

(٥٤) الأخلاق، ص ٢٩١.

(٥٥) الكلاباذي، مذهب أهل التصوف: ٣٤.

(٥٦) الطوسي، اللمع: ١٥.

(٥٧) نفس المصدر ص ٢٩٢.

(٥٨) شرح ابن أبي الحديد، ج١١، ص ٣٥- ٣٦.

(٥٩) النهج، خطبة ٣.

(٦٠) النهج خطبة ١٦٠.

(٦١) النهج خطبة ١٦٠.

(٦٢) المصدر نفسه.

(٦٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٢/ ٨٢.

(٦٤) نهج البلاغة: ٤٥.

(٦٥) التذكرة لابن الجوزي الباب الخامس.

(٦٦) عبده، محمد، شرح نهج البلاغة: ١٠٠.

(٦٧) تصنيف نهج البلاغة: ٤١٦.

(٦٨) مرآة الكمال، باب الزهد ج٢، ص ٣١٠.

(٦٩) الأخلاق، الباب السادس في الزهد.

(٧٠) مرآة الكمال باب الزهد ج٢، ص ٣١١.

(٧١) الأخلاق، ص ٢٩١.

(٧٢) شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٦.

(٧٣) شرح محمد عبده: ٥٩١.

(٧٤) شرح ابن أبي الحديد: ٤/ ١٨٤.

(٧٥) القصص: آية ٧٧.

(٧٦) شرح ابن أبي الحديد: ٣/ ١٨٣.

(٧٧) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ٢/ ٩٠٨، المجلسي، بحار الأنوار: ٤٣/ ٣٤٦.

(٧٨) شرح ابن أبي الحديد: ١/ ٥.

(٧٩) شرح ابن أبي الحديد: ج ٢، ص ١٩٦.

(٨٠) شرح ابن أبي الحديد: ج ٢، ص ١٨٦.

(٨١) شرح ابن أبي الحديد: ج ٣، ص ٢.

(٨٢) شرح ابن أبي الحديد: ج ٣، ص ٢.

(٨٣) شرح محمد عبده ص ٥٨٧.

(٨٤) شرح ابن أبي الحديد: ج ٢، ص ٢٣٨.

(٨٥) شرح ابن أبي الحديد: ج ٢، ص ٢٣٨.

(٨٦) شرح محمد عبده ص ٦٢٦.

(٨٧) شرح ابن أبي الحديد: ج ٤، ص ٣٠٤.

(٨٨) شرح ابن أبي الحديد: ج ٣، ص ٧٨.

(٨٩) شرح محمد عبده: ص ٦٤٦.

(٩٠) تصنيف نهج البلاغة: ص ٣٨٩.

(٩١) تصنيف نهج البلاغة ص ٢٨٤.

(٩٢) شرح محمد عبده ص ٥٠٥.

(٩٣) الإمام علي (عليه السلام) ص ١٨٩.

المصادر

*** القرآن الكريم**

١-ابـن معصـوم، المدني، آل علي بـن أحمـد بـن محمـد معصـوم الحسـيني (١١٢٠ هـ)، الطـراز الأول أبـو القاسـم الحسين بـن محمـد المعـروف بالراغـب الأصفهـاني (ت ٥٠٢هـ)، المفـردات في غريـب القـرآن المحقـق: صفـوان عدنـان الـداودي، النـاشر: دار القلـم، الـدار الشـامية - دمشـق بيروت الطبعـة: الأولى- ١٤١٢ هـ.

٢- أحمـد أمين، أدب الأخلاق مترجـم، تاريـخ الإنشـاء ٢٠٠٨، ملـف بي دي أف.

٣- باجـن، محمـد مقـداد، علـم الأخلاق الإسلاميـة، النـاشر: دار عـالم الكتـب للطباعـة والـنشر- الريـاض.

٤- ابـن سـينا، الحـسين بـن عبـد الله (ت ٤٢٨هـ)، الشـفاء الإلهيـات، المحقـق، الأب قنـواتي سـعيد زايـد.

٥- البيـاتي، جعفـر، الأخلاق الحسـينية، النـاشر: أنـوار الهـدى، مكتبـة الفقاهـة، النـاشر: أنـوار الهـدى.

٦- التميمـي، عبـد الواحـد بـن محمـد (ت ٥٥٠ هـ)، الآمدي، غُرر الحكم ودُرر الكلم ، المحقـق/ المصحـح: درايتـى، مصطفـى، النـاشر: مكتب الاعلام الإسلامي، النـاشر: مكتـب الإعلام الإسلامـي ١٣٦٦، رقـم الطبـع: ١.

٧- حَبَنَّكَـة الميـداني الدمشـقي، عبـد الرحمـن بـن حسـن (ت ١٤٢٥)، الحضـارة الإسلاميـة أسسـها ووسـائلها، النـاشر: دار القلـم- دمشـق، الطبعـة الأولى ١٩٩٨.

٨- الطباطبائـي، محمـد حسـين (ت ١٤٠٢ هـ)، الميـزان في تفـسير القـرآن، النـاشر مؤسسـة الأعلمـي للمطبوعـات، مـكان الطبع بيروت، مكان الطبع، الطبعة الثانية الطبعـة: الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٩- نخبـة مـن اللغـويين بمجمـع اللغـة العربية بالقاهـرة، المعجم الوسيط، النـاشر: مجمع اللغة العربية بالقاهـرة، الطبعة الثانية ١٩٧٢.

١٠- عـز الديـن، عبـد الحميـد بـن هبـة الله

بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (المتوفى: ٦٥٦ هـ) شرح نهج البلاغة، المحقق، محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١١- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ) الناشر: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٢- القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، الخُلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة، الناشر: مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

١٣- الشافعي، أبو الحسن يحيى (ت ٥٥٨ هـ)، البيان في مذهب الإمام الشافعي، المؤلف: أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (ت ٥٥٨هـ)، المحقق: قاسم محمد النوري، الناشر: دار المنهاج- جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٤- الحر العاملي، محمد بن حسن (ت ١١٠٤ هـ)، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محقق/ مصحح: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، الناشر: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، مكان الطبع: قم، تاريخ الطبع: ١٤٠٩ هـ، الطبعة: الأولى.

١٥- كتاب نهج البلاغة.

١٦- الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٩ هـ)، الكافي، محقق/ مصحح: غفاري، علي أكبر وآخوندي، محمد الناشر: دار الكتب الإسلامية، مكان الطبع: طهران، تاريخ الطبع: ١٤٠٧ هـ، الطبعة: الرابعة.

١٧- الليثي الواسطي، كافي الدين أبو الحسن علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، التحقيق حسين الحسيني البيرجندي.- قم: دار الحديث، ١٣٧٦/ ٥٦٦ ص.

١٨- مرسي، محمد منير، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، الناشر

عالم الكتب الطبعة: طبعة مزيدة ومنقحة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥.

١٩- مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١ هـ)، تهذيب الأخلاق، حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة: الأولى.

٢٠- المامقاني، عبد الله، مرآة الكمال، مكتبة الفقاهة.

٢١- ابن معصوم المدني، علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسيني تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قدم له بمقدمة ضافية: السيد/ علي الشهرستاني الناشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الناشر منشورات، مكتبة آية الله العظمى النجفي، تاريخ النشر ١٤٠٤.

٢٢- النراقي، محمد مهدي (ت ١٢٠٩ هـ)، جامع السعادات، تحقيق وتعليق: السيد محمد كلانتر/ تقديم: الشيخ محمد رضا المظفر.

٢٣- الجوزي، جمال الدين أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ)، التذكرة في الوعظ، المحقق: أحمد عبد الوهاب فتيح، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦.

٢٤- الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم (ت ٣٨٠ هـ) التعرف لمذهب أهل التصوف، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.